علم الكلام بين خيار التبني ومقاربة الرفض
" دراسة في معطيات الفكر الاسلامي"

د/ علي الخطيب
مدرس الفلسفة –
كلية الآداب جامعة المنيا جمهورية مصر العربية

إن الهدف الرئيس من هذه الدراسة يتمثل كما هو واضح من عنوانها في محاولة التعرف على الموقف المتخذ من علم الكلام. ونحن نري أن الشروع في هذه المهمة يتطلب منا الحديث عن ثلاثة محاور رئيسية حتي نحقق الهدف الذي قامت من أجله هذه الدراسة. ويتمثل المحور الأول في "إشكالية التسمية والنشأة"، أما المحور الثاني فيتمثل في "الموقف من علم الكلام"، ووصولا إلي المحور الثالث والأخير فنجده يتمثل في "السؤال عن حاجتنا إلي تجديد علم الكلام من عدمه " أو علي الأحري الحاجة إلي "علم الكلام الجديد".

وبالنظر إلي المحور الأول والمتمثل في "إشكالية التسمية والنشأة"، فنري إنه من الواجب علينا ألا نقف عنده طويلا ، ولكننا سنقتصر على اظهار بعض النقاط الرئيسة في هذا المحور ، وذلك لأننا نري أن معظم الباحثين قد تحدثوا عن هذا المحور سواء علي نحو مباشر أو غير مباشر .وعلي أيه حال من الأحوال فإننا نري أن الحديث عن "إشكالية التسمية والنشأة" يستلزم منا الوقوف علي نقاط رئيسة منها أولا: معرفة ماهية علم الكلام قبل الحديث عن نشأته، فنجد إنه يعتبر علم الدفاع عن العقائد الدينية بالأدلة العقلية. وهو يختلف عن علم الفقه حتى وإن كان بينه وبين علم الفقه اتصال لدرجة إننا يمكننا القول بأنهما مكملان لبعضهما البعض، وذلك لأن البعض قد رأي أن علم الفقه هو العلم الذى يهتم بالدفاع عن العقائد الدينية بالأدلة النقلية لا العقلية .(1)

ومن ثم فلا غضاضة حينما يقرر البعض الحقيقة التى تقول : باختلاف الفقيه عن المتكلم ، وذلك لأن الاختلاف بينهما يكمن في أن الفقيه عندما يهتم بدراسة المبادئ الدينية فهو يهتم بمعرفة ما يترتب عليها من نتائج، أما المتكلم فيهتم بالبحث

لهذه المبادئ عن الأدلة التي تدعم ثبوتها والاقرار بها.ومن ناحية أخري يمكننا القول كما قال "ابن خلدون" -من قبل- باختلاف علم الكلام عن الفلسفة من حيث المنهج. فما نريد التأكيد عليه هنا هو أنه ينبغي علينا ألا نقول علي "المتكلم" إنه فيلسوف عقلي وذلك لأن الفيلسوف هو الشخص الذي يفكر في مسألة ما تفكيرا عقديا محضاً(2)

إن ما يؤكد صدق هذه الحقيقة هو الحديث عن المنهج الذى يتبعه المتكلم عند تأييد موقفه تجاه مسألة ما . وإننا نري أن الحديث عن المنهج هنا يتطلب منا البحث والفحص فى المناهج التى اعتمد عليها المتكلمون، ومن خلال قيام البعض بهذه المهمة وجدوا أن المتكلمون لا يعتمدون على منهج واحد بعينه بل على عدة مناهج ، وهدفوا من ذلك تأييد لموقفهم تجاه قضية ما ، وتتمثل هذه المناهج فيما يلي:

1- منهج البرهان الكلامى: ومعناه أن يبدأ المتكلم من أقوال الخصوم ثم يصل من خلال اعتماده علي طريقة البرهان العقلى إلي نتائج ملزمة للخصم. غير أننا نجد أن الإمام " الغزالي" قد أقر بعدم صلاحية هذا المنهج وخصوصا عند استخدامه في اقناع المسلم المجادل، وكذا أصحاب الملل والنحل الأخري.

2- منهج التأويل: وهو المنهج الذى يلجأ إليه المتكلم حينما لا يتفق ظاهر النصوص مع ما يريده. ولقد تسبب هذا المنهج في جعل مواقف المتكلمين باختلاف مدراسهم الكلامية فى حالة من الاختلاف الشديد.

3- منهج التفويض: وهو المنهج الذى يعتمد عليه المتكلم وخصوصا عندما يسلم ببعض الأسرار الالهية التى يعجز العقل عن فهمها.(3) ومن الملاحظ أن الأشاعرة وحدهم الذين اعتنقوا هذا المنهج، وعلي هذا النحو قد اختلفوا مع المعتزلة التى كانت تقدس العقل، والتى تري بأن العقل لا تحده أي حدود. ومن هنا يمكننا أن نقرر حقيقة مهمة : هي أن المنهجيين الأوليين هما اللذان استقطبا اجماع سائر المتكلمين في مباحثهم الكلامية ، كما تعددت آراء المتكلمين واختلفت،

لدرجة إننا لا نستطيع أن نجمعهم تحت فرقة واحدة وكانت تدور معظم اختلافتهم حول موضوعات متعلقة بذات الله وصفاته، والجبر والاختيار ..إلخ (4).

أما النقطة الثانية فتتمثل في الحقيقة المتعلقة بالمسميات التي أطلقها البعض علي علم الكلام فنجد أن "أبو الوفا التفتازاني" قد رأي أن البعض أطلق مسميات عديدة منها علم التوحيد والصفات نظرا لاعتقادهم بأن علم الكلام يهتم بالبحث فى الأحكام الاعتقادية. اضف إلي ذلك فإن هناك مسميات أخري قد أطلقها البعض الآخر علي هذا العلم مثل "علم أصول الدين"، "علم الفقه الأكبر" ، و "علم النظر والاستدلال"(5)

وتكمن النقطة الثالثة في معرفة الهدف الذي قام من أجله هذا العلم فنري أن البعض قد اهتدي إلي القول بأن الهدف الرئيس لعلم الكلام يتمثل فى الدفاع عن الاسلام والاقرار بأن الإسلام هو دين واحد ولا يوجد به أى انقسامات . وذلك راجع إلي اعتقاد المتكلمين في أن الإسلام له الفضل الكبير فى وحدة العرب بعد أن كانوا قبائل متفرقة تحارب بعضها البعض.(6) أما النقطة الرابعة فتتمثل في معرفة الغاية التي من أجلها نشأ هذا العلم ، فمن خلال بحث المتخصصين لمعرفة الغاية وجدوا أنها كانت تنحصر حول الإقرار بالعقائد وذلك من خلال العقل والإقرار القلبي بها، وفي الدفاع عن هذه العقائد من خلال دفع شبه الخصوم. ومن ثم وجدنا البعض وخصوصا من المتكلمين قد أكدوا علي حقيقة مهمة هي: أن غاية علم الكلام تتمثل في الترقي من حضيض التقليد إلي ذروة اليقين.(7)

أما النقطة الخامسة والأخيرة من المحور الأول فتتمثل في معرفة نشأة علم الكلام ، ومن الملاحظ إننا لو تحدثنا عن هذه النقطة بالذات لخصصنا مجلدات عديدة، غير أننا نري أن مهمتنا الرئيسة هنا تنصب علي إظهار أهم المعالم الرئيسة التى ساهمت بشكل أو بآخر في نشأة هذا العلم. فنقول في البداية أن علم الكلام قد نشأ في بداية القرن الثاني للهجرة علي يد المعتزلة، غير أننا نلحظ أن المشكلات الدينية المتعلقة بمرتكبى الكبيرة قد ظهرت قبل ظهور علم الكلام بحوالي نصف قرن من الزمان.

هذا معناه إنه من الممكن النظر إلي هذه المشكلات علي إنها الارهاصات المبكرة لنشأة هذا العلم.(8)

ومهما يكن الأمر فإن ما يهمنا ويشغل بالنا هو أن نشأة علم الكلام باعتباره نسقاً كاملاً قد ارتبط ارتباط وثيق الصلة بنشأة المعتزلة. كما ساهم انتشار الإسلام في مختلف بقاع العالم في إلزام علماء الكلام علي مسايرة متطلبات الحضارات الجديدة من خلال تقديمهم لتفسيرات جديدة للمشكلات التى نتجت بسبب انتشار الإسلام. غير أن ما نريد التأكيد عليه هنا هو أن المعتزلة قد ظلت تمثل الفكر الكلامي حتى بداية القرن الرابع الهجري، ولكن بدأ الانحدار العام يصيب المعتزلة بسبب ظهور "أبو الحسن الأشعري" في الفكر الإسلامي . لذ ا وجدنا المعتزلة تتجه إلي الفكر الشيعي وأخص بالذكر "الزيدية"، حيث تسربت أفكار المعتزلة إلى مؤلفات الشيعة، وتزايد الاقتراب بينهما حتى وصل إلي أوجه علي يد "نصر الدين الطوسي" في القرن السابع الهجري. كما تسربت أفكار المعتزلة إلي مؤلفات الأشاعرة بدءا من القرن السابع الهجري، ولقد ظهر ذلك على نحو جلي في كتاب "طوالع الأنوار" "للبيضاوى" ، و كتاب "المواقف" "للإيجي"...أخ .(9)

وعلي الرغم من ذلك يمكننا القول بأن الناظر إلي علم الكلام وخصوصا في فترة نشوئه المبكرة ، يجده قد تأثر بالفلسفة اليونانية، ومع ذلك فقد ظل علم الكلام ملتزما بالمشكلات الفكرية التى أوجدتها الصراعات الاجتماعية والسياسية داخل العالم الإسلامي . إن ما نريد التأكيد عليه هنا أن علم الكلام كان بمثابة القناة التى تصل الفكر الإسلامى بالفلسفة اليونانية. (10) غير أن " على سامى النشار" نجده يقول : أن فقهاء المسلمين لم يوافقوا على هذا المزج ، وذلك لأنهم رفضوه رفضا شديدا ، ولم يتوقفوا عند هذا الحد حيث نجدهم ينظروا إلي من قام بهذا العمل من المتكلمين علي إنه "مبتدعة"وقريب من ذلك الرأي نجده عند "مصطفى عبدالرازق" الذى رأي أن علم الكلام قد نشأ بغرض الحاجة إليه، كما أنه نشأ نشأة إسلامية غير مشوبة بالفكر اليوناني .(11)

إن هذه الحقيقة التى اختلف حولها البعض لا تشغل بالنا الآن، وذلك لإننا نريد التأكيد علي حقيقة أخري هي أن علم الكلام قد وصل في مرحلة ما وعلي وجه التحديد القرن السابع الهجري إلي أعلي درجات النضج، وصار متوافقا كليا مع الفكر الإسلامى. لذا كان من الطبيعي أن يتخلى عن مكانه للفلسفة ليتحول إلي كيفية فلسفية خالصة ، وذلك لأن الفلسفة لم تلقي قبولا فكريا بسبب فتوى الفقهاء بتحريم الاشتغال بها. غير أن الفلسفة قد صمدت ضد هذا الهجوم الذى شنه البعض أمثال "الغزالي" ...إلخ. وترتب على ذلك دخولها تحت موضوعات علم الكلام والتصوف.لدرجة أنه صار علم الكلام والتصوف بمثابة الشاطئ الذى ترسى عليه سائر الاتجاهات الفلسفية في الاسلام فى تلك الفترة.(12)

هنا يتبادر إلي الذهن سؤالا مهما : يتعلق بالبحث عن الأسباب الحقيقية التى أدت إلي تحول علم الكلام الخالص إلي فلسفة خاصة ؟ لقد أجاب لنا "عباس سليمان" علي هذا السؤال ، حيث توصل إلي أربعة أسباب وجدها من الأسباب التى أدت إلي هذا التحول منها ما يلي:

ارتباط علم الكلام المتأخر باستخدامه للمنطق الصورى أداة ومنهجا للبحث والاستدلال.

فلقد ارتبط علم الكلام بالمنطق الصورى وآثر ذلك فى طبيعة علم الكلام في الاسلام، والدليل على ذلك هو أن علماء الكلام المتأخرين قد استخدموا المنطق الصورى فى سائر كتابتهم الكلامية. كما بحث علماء الكلام المتأخرون عن الاستدلالات العقلية. اضف إلي ذلك اعتمادهم على صورة الاستدلال القياسي لتدعيم حجتهم. كما اعتمدوا على مفهوم الجنس والفصل لتعريف الوجود. ولم يتوقفوا عند هذا الحد حيث وجدناهم يستخدموا "المقولات العشر الأرسطية" في سائر كتابتهم الكلامية .وترتب علي ذلك أن صارت "المقولات العشر " من المقولات المهمة فى تطور علم الكلام لارتباطها بمباحث التوحيد عندهم.(13)

اهتمام علماء الكلام المتأخرين بمنهج التأويل العقلي المعتزلى، تلك الأمر الذى مزج علم الكلام بالفلسفة .

من الملاحظ أن قضية التأويل قد شغلت حيزا كبيرا من تفكير واهتمام الفلاسفة والمتكلمين على حد سواء ، تجاه موقفهم من النصوص الدينية. من ثم أصبح من الطبيعي أن يقول الفلاسفة والمتكلمين: أن النص وحده لا يكفي في الوصول إلي الحق، بل لا بد من الاعتماد على العقل والبرهان المنطقى. ونظرا لقولهم بذلك فلقد أصبح منهج التأويل العقلي مطلبا ملحا وضروريا لجميع الفرق الكلامية ، واقترب أكثر فأكثر من الفلسفة ، بل واستمد منها مادته ومنهجه .(14)

أثر الفكر الاسماعيلى فى انطباع الموضوعات الكلامية بالطابع الفلسفي

فلو توقفنا قليلا عند الاسماعيلية نجدها فرقة تفوقت علي سائر الفرق الأخري ، وذلك من خلال تنظيمها الدقيق فى مجال الفكر الفلسفي. كما نجدها قد ضمت العديد من الفلاسفة والعلماء الذين تمتعوا بقدرات خاصة فاقت سائر العلماء والفلاسفة الموجودة أنذاك .كما نجدها قدمت لنا شرحا باطنيا فلسفيا للكون اعتمدت فيه علي مصادر الثقافات الشرقية القديمة, وخصوصا الأفلاطونية المحدثة .والمهم هنا إن سائر أفكارها الفلسفية قد تغلغلت فى شتي نواحي الفكر أقصد: علم الكلام، الفلسفة، والتصوف

ارتباط علم الكلام المتأخر بالأصول الكلامية في فلسفة "ابن سينا"

إن الناظر لفلسفة "ابن سينا" يجدها ترتبط ارتباط وثيق الصلة بالفلسفة الاسماعيلية ، وقد نتج عن ذلك ارتباط علم الكلام بالفلسفة. وتأكيدا لهذه الحقيقة نقول: قد تناول "ابن سينا" القضايا نفسها التى اهتم بها المتكلمون منذ نشأة علم الكلام. اضف إلي ذلك اهتمام "ابن سينا" بالقضايا الفلسفية البحتة، لذا جاءت فلسفته مزيجا من علم الكلام والفلسفة .والجدير بالذكر هنا أن "ابن سينا" لم يفعل ذلك بطريقة اعتباطية ، ولكنه كان يسعي إلي تحقيق هدف يتمثل في تقديم حلول فلسفية لهذه القضايا من ناحية، وتأسيس علم الكلام تأسيسا فلسفيا من ناحية أخري. (15)

بناء علي ما تقدم من أسباب فقد حدث فعلا تحولا لعلم الكلام الخالص ليصبح فلسفة خاصة للمتكلمين في القرون المتأخرة ، كما إننا يمكننا التوصل من خلال هذه الأسباب إلي عدة حقائق تؤكد علي أصالة علم الكلام منها: 1- أن علم الكلام لم يكن علما منغلقا أو مستقلا بذاته. 2- قد استخدم المتكلمين الفلسفة بوصفها أداة للتعبير عن مشكلاتهم الكلامية، لذا صارت الفلسفة وسيلة من الوسائل التى تمكن المتكلمين من اثبات العقائد. 3- يشكل علم الكلام الفلسفى عنصراً مهما من العناصر المشكلة لبنية الفكر الإسلامي. 4- قد اعتمد علم الكلام الفلسفي على الفلسفة ، ويدل ذلك علي سمو البحث الفلسفى فى المناخ الإسلامي. (16)

وبهذا قد انتهينا من المحور الأول الذى أكدنا فيه علي أصالة علم الكلام .ولكننا نري أن هناك سؤالا ملحا يتعلق بـــــالتساؤل عن :هل نظر الجميع إلي علم الكلام علي إنه يتمتع بالأصالة؟ أو بمعنى آخر هل اتفق الجميع على مشروعية قبوله أم واجه رفض من قبل الجميع؟ إننا نري أن الإجابة علي هذا السؤال تجبرنا علي ضرورة معرفة الموقف المتخذ من علم الكلام، وهذا ما سنتناوله بالتفصيل في المحور الثاني من محاور هذا البحث .

و يتمثل المحور الثاني -كما قلنا- في "الموقف من علم الكلام "، من الملاحظ أن الباحث فى " الموقف المتخذ من علم الكلام" يمكن أن يقرر في البداية الحقيقة التي مؤداها: إنه علي الرغم من الأصالة التى تحدثنا عنها عبر السطور السابقة، إلا إنه قوبل باستنكار شديد وخصوصا من أهل الحديث والفقهاء والصوفية . فهؤلاء لم يتوقفوا عند هذا الحد بل أطلقوا علي علم الكلام وأهله "أصحاب البدعة". ولقد اعتمدوا في تأكيدهم لذلك علي أن الرسول(ص) والصحابة لم يشتغلوا به، فهو من البدع. من هنا قابلوا علم الكلام بالاستنكار وذموه هو وأهله.(17) وإحقاقا للحق فإننا نود أن نشير إلي حقيقة مهمة هي أن هذا الموقف لم يكن الموقف الوحيد الذي اتخذه البعض تجاه علم الكلام، وذلك لأننا نري أن البعض رحب بعلم الكلام واشتغل به ، كما عرف البعض الأخر بقيمة وقدر ومشروعية علم الكلام. فما نريد

أن نؤكد عليه أن هناك موقفين اتخذهما البعض تجاه علم الكلام: موقف الرفض، و موقف القبول.

ولو نظرنا إلي الموقف الرافض لعلم الكلام فأول ما نلاحظه أن هذا الموقف كان رافضا لعلم الكلام وقد استمر قديما وحديثا . أما بالنسبة للرافضين قديما فنذكر منهم علي سبيل المثال لا الحصر "ابن قتيبة"(276 ه)، "ابن عبدالبر" (463ه) و"الهروي" (401ه) فهؤلاء قد رفضوا علم الكلام رفضا تاما، لأنهم ذهبوا إلي القول بأن المتكلمين قد خاضوا في موضوعات دقيقة ، وكان واجبا عليهم ألا يخوضوا فيها وذلك لأن الرسول(ص) وأصحابه لم يخوضوا في شئ من قبل ذلك بل نهوا عنها. (18)

اضف إلي ذلك إنهم اعتقدوا بأنه لم يكن عند المسلميين الأوائل أيام الرسول (ص) والصحابة علم الكلام أو الفلسفة، ولا خوض في جدال ، وإنما كان موجودا عندهم إجماعا في الكلمة حول العقائد. كما اعتقدوا بإنه حتي لو أشارت بعد المصادر إلي وجود بعض المناقشات التى حدثت في زمن الرسول(ص) بخصوص مسألة القدر، فإن الرسول(ص) قد نهي عن الحديث عنها وذلك بقوله (ص): "بهذا خلت الأمم قبلكم" وعلي هذا النحو يمكننا أن نقرر بأن الذين ذموا علم الكلام وأهله واعتبروهم أهل بدعة قد اعتمدوا اعتمادا كليا علي القول بأن المتكلمين قد خاضوا في موضوعات لم يخض فيها السلف الأول من المسلمين، كما تدخلوا فى دقائق الأصول الدينية.(19)

ولكن لو نظرنا إلي الأئمة الأربعة مؤسسي المذاهب الفقهية الأربعة نجد أن بعض الباحثين قد صنفهم جميعا على إنهم من الرافضين قديما لعلم الكلام واعتمدوا في ذلك علي ما أورده "ابن تيمية" في كتابه "درء تعارض العقل والنقل".(20) كما رأي الباحثين أن هؤلاء الأئمة قد مارسوا علم الكلام وأدركوا خطورته علي الدين ، فنصحوا بعدم استعماله لاعتقادهم بأنه يؤدي إلي ترك كتاب الله وسنة رسوله. كما رأوا إننا ليس بحاجة إلي علم الكلام لاعتقادهم بأن بواعثه ونشأته قد ارتبطت

بموضوعات ومباحث زالت في عصرهم. إن ما نريد أن نقوله هنا أن الباحثين قد رأوا أن هؤلاء الأئمة الذين رفضوا علم الكلام كانوا لديهم من أسباب ما يقرر رفضهم لعلم الكلام ، ولعل من أبرز هذه الأسباب : سوء استخدام المتكلمين للجدل مما أدي إلي ظهور الفتنة والفرقة (21). وعلي النقيض من ذلك نجد أن بعض الباحثين قد رأوا أن هؤلاء الأئمة قد اهتموا بعلم الكلام مما آثار شكوكا حول موقفهم .فههنا نري "محمد صالح" ينظر إلي الإمام "أبي حنيفة" علي أنه صاحب مؤلفات مهمة في علم الكلام منها كتاب "الفقه الأكبر"و كتاب "العالم والمتعلم" وكتاب "الرد علي القدرية" (22)إننا نري أن ما يريد أن يؤكد عليه "محمد صالح" هنا هو أن الإمام "أبي حنيفه" قد ساهم في علم الكلام ، وتأكيدا لذلك نجده يقول: أن "أبي حنيفه" ساهم في تسميه علم الكلام بعلم الفقه الأكبر (23) كما نظر أيضا إلي الإمام "مالك بن أنس" فوجده مشهورا بكراهية للخوض في المسائل الكلامية ونظرته للمتكلمين علي أنهم أهل بدعة، إلا إنه اعتبره - من وجهه نظره -صاحب مذهب كلامي استطاع من خلاله محاربة التشبيه والتجسيم بصفة عامة(24) .كما نظر إلي الإمام "الشافعي"فوجده يعتبر المتكلم الثاني بعد الإمام "أبي حنيفه"، غير أنه وجد أن البعض قد شكك في هذه الحقيقة . ولكنه اعتقد بإنه إذا وصف الإمام "الشافعي" بكراهيته لعلم الكلام من قبل البعض ، فإن هذه الكراهية لم تكن موجهه لعلم الكلام بل كانت موجهه لأهل الأهواء والبدع المنحرفين عن عقيدة أهل السنة. ولكي يؤكد "محمد صالح" علي صحة ما انتهي اليه فقد شكك في قول البعض بكراهية الإمام "الشافعي" لعلم الكلام معتمدا في ذلك على أربعة أسباب رئيسة هي علي النحو التالي:

السبب الأول: ويؤكد من خلاله علي اهتمام الإمام "الشافعي" بدراسة كلام المتكلمين

السبب الثاني: ويشرح لنا من خلاله كيف كان للإمام "الشافعي" كلاما كثيرا في أبواب التوحيد المختلفة، كما يعرض من خلاله رأيه في بعض المسائل الكلامية مثل : القضاء والقدر، والإيمان.

السبب الثالث: ويؤكد من خلاله علي شهادة البعض أمثال "البغدادي" بكتابته كتب في علم الكلام منها: تصحيح النبوة، الرد علي البراهمة،و الرد علي أهل الأهواء. مما يدل علي أن للإمام "الشافعي" آراء عظيمة لا يستهان بها فى مجال علم الكلام.

السبب الرابع والآخير: فيؤكد من خلاله علي معاصرة الإمام "الشافعي" للمعتزلة ، مما يدل على اهتمامه بعلم الكلام . غير أن الإمام"الشافعي" لم يتفق معها في استخدامها الرئيس للعقل، بمعنى أنه آثر النقل علي العقل، ومن هنا بدأ البعض في التشكيك تجاه موقفه من علم الكلام.(25)

ثم نظر "محمد صالح" آخيرا إلي الإمام "أحمد بن حنبل" فوجده ينفي كونه واحدا من المتكلمين ، كما وجده يعلن هذه الحقيقة علي الملا الأعلي غير أن "محمد صالح" قد رأي بأن ما صرح به الإمام "أحمد بن حنبل" لا يجعلنا نصنفه من الكارهين لعلم الكلام، بل يجعلنا نقول عنه إنه كان كارها لعلم الكلام القائم علي الجدل الذي يخوض في مسائل لم يخض فيها السلف الصالح. كما رأى "محمد صالح" أن البعض قد وصف الإمام "أحمد بن حنبل" بكراهيته لعلم الكلام نظرا للمحنة التى تعرض لها الإمام. و بناء علي ما تقدم وجدنا "محمد صالح" قد أكد علي حقيقة مهمة مؤداها: أن الأئمة الأربعة قد اهتموا بعلم الكلام ومسائله ، كما كانت لهم آراء كلامية جديرة بالاعتبار . كما رأي أن الإمام "أحمد بن حنبل" الذى قيل عنه كارها لعلم الكلام ومسائله ، قد نسب إليه البعض كتب رئيسة فى علم الكلام منها علي سبيل المثال لا الحصر : رسالته في الرد علي الزنادقة والجهمية.(26)

ووصولا إلي الرافضين لعلم الكلام حديثا نجد أن هناك تيار مناهض لعلم الكلام في العصر الحديث ، ويعد هذا التيار امتدادا للتيار الرافض لعلم الكلام قديما .كما

اعتمد هذا التيار علي نفس المبررات المعارضة التى كان يعتمد عليها التيار القديم.وكان الممثل الحقيقى لهذا التيار هم أهل السلف الذين نادوا بضرورة المحافظة علي آراء وفتاوي القدامي والتمسك بالتفكير، وغلق باب الاجتهاد فى العقيدة والشريعة والاقتصار علي ظاهر النصوص. كما شعر هذا التيار بأن الحديث عن أهمية علم الكلام في أيامنا تلك ما هو إلا إعادة جديدة للصراعات بين الفرق الكلامية، وإحياء للمشكلات الكلامية . كما ظن التيار نفسه بأن علم الكلام قد استنقذ غرضه تعريفا وموضوعا . كما ردد هذا التيار أقوال "ابن خلدون" التى تقول : أن الملاحدة لم يكن لهم أي وجود وبالتالي فليس لنا أي حاجة لعلم الكلام.(27) إن ما نريد قوله هنا أنه لا يزال في عصرنا من يهاجم علم الكلام ويحرمه أمثال الشيخ "عبدالحليم محمود" وخصوصا في كتابه "الإسلام والعقل" والمرحوم "محمود قاسم" في مقدمته لكتاب "مناهج الأدلة لابن رشد" .(28)

أما لو نظرنا إلى الموقف الثاني الذى أقر بقبوله لعلم الكلام ، فنجده يتشابه مع الموقف السابق في أن هناك من قبل علم الكلام قديما وهناك من قبل علم الكلام حديثا ، ولو نظرنا إلي موقف القبول لعلم الكلام قديما فيمكن أن نستنبطه علي نحو جلي خصوصا لو نظرنا إلي "الأشعري" الذى أعد رسالة في "استحسان الخوض في علم الكلام"تلك الرسالة التى اعتبرها "الأشعري" من الرسائل المهمة في بيان أصالة علم الكلام الإسلامية، ولقد قدم لنا أدلة المعترضين علي علم الكلام تمهيدا للرد عليهم.(29) وليظهر لنا أصالة علم الكلام من خلال ثلاثة وجوه علي النحو التالي:

الوجه الأول: ورأي "الأشعرى" من خلاله إننا لو قلبنا الأمر على المعترضين لعلم الكلام وقلنا: هل قال الرسول(ص) أن من بحث عن المسائل الكلامية وتكلم فيها يكون مبتدعا ضالا؟

الوجه الثاني: وهو بمثابة رد يرد من خلاله "الأشعرى" علي المعترضين، وذلك لأنه يظهر من خلاله أصالة علم الكلام الإسلامية حيث نجده يؤكد فيه على أن الخوض في المسائل الكلامية يعد أمرا مقبولا ، وذلك لأنها مسائل كلامية لا بأس بها، كما

أن لها أصول نقلية أو على الأحري موجودة فى القرآن الكريم والسنة النبوية جملة غير مفصلة.(30)

الوجه الثالث: ويتمثل في تأكيد "الأشعري" علي أن مسائل علم الكلام التي يطعن البعض في الخوض فيها ويعتبرها بدعة كان عالما بها الرسول(ص) ولم يجهل منها شيئا مفصلا. غير أنها لم تحدث فى أيامه فيتحدث أو لا يتحدث عنها، كما أن أصولها كانت موجودة في القرآن الكريم و السنة النبوية. (31)

وتأكيدا لما انتهي إليه "الأشعرى" وجدناه يقول: إنه لو حدث في أيام الرسول(ص) الحديث عن مسائل كلامية لتحدث عنها وبينها كما بين سائر ما حدث في أيامه. اضف إلى ذلك قد رأى "الأشعرى" بأن ما خاض فيه المتكلمون وما انتهوا إليه من نتائج لا يدخل فى دائرة البدع من ناحية، في حين نجده يري بأن الذين لم يبدوا رأيهم في المسائل الكلامية فإنهم من وجهه نظره هم أهل البدع الأصلين من ناحية أخري ، لاعتقاده بإنه لم يرد عن الرسول (ص) وحدثت حادثة ما وقال لهم: لا تقولوا فيها بعدي شيئا.

وعلي هذا النحو يمكننا القول بأن الأشعري استطاع بالفعل من خلال رسالته أن يدافع عن علم الكلام ويؤيده ، ويؤكد علي اعتماده على العقل والنقل. من هنا يمكن اعتبار رسالته رسالة مهمة ودليلا دامغا على أصالة علم الكلام الاسلامية، كما أخبرنا "الأشعري" في الوقت ذاته بأن ما خاض فيه المتكلمون لم يجعلهم داخلين فى البدع علي الإطلاق.(32)

أما لو نظرنا إلى موقف "الغزالى" فنجد أن "محمد صالح" قد وصف موقفه بموقف المتردد من علم الكلام وذلك لأن "الغزالى" من وجهه نظره قد شك فى منهج المتكلمين .ومن ثم كان لموقف "الغزالى" آثرا بالغا على أصالة علم الكلام ، حيث اعتمدوا المنكرون لعلم الكلام على رأي "الغزالى" وحاولوا من خلاله التشكيك فى أصالة علم الكلام ومشروعيته. إلا أننا نجد أن "محمد صالح"قد عد الإمام "الغزالى" من أئمة المتكلمين ، وذلك لأنه كان ولا يزال ينظر إليه على أنه صاحب مذهب فى

علم الكلام ، كما اعتبره واحدا من الذين اهتموا بوضع علم الكلام ضمن دائرة العلوم الشرعية(33). ولكي يؤكد "محمد صالح" صدق ما انتهى إليه بخصوص الإمام "الغزالى" نجده يشير لنا إلي أن الإمام "الغزالي" قد قام بتصنيف العلوم فى كتابه إحياء علوم الدين، وقسم سائر العلوم إلى قسمين لا ثالث لهما: العلوم الشرعية، والعلوم غير الشرعية ، وقد عد الإمام "الغزالى" علم الكلام ضمن العلوم الشرعية.(34)

هذا معناه أن "محمد صالح" يريد أن يخبرنا بأنه من الأفضل بالنسبة لنا أن نستحسن الخوض في علم الكلام من ناحية، كما يريد أن يؤكد على أصالته ومشروعيته قديما وحديثا . وذلك راجع إلى اعتقاده بأن علم الكلام سوف يحقق لنا خمس فؤائد على قدر كبير من الأهمية على ما يلي:

الفائدة الأولي: وتتمثل فى أن الخوض فى علم الكلام يجعلنا نرتقي من حضيض التقليد إلى ذروة اليقين.مصداقا لقوله تعالى "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات"

الفائدة الثانية: وتكمن فى أن الخوض فى علم الكلام يسهم في إرشاد المسترشدين بإيراد الحجة ويلزم المعاندين بإقامة الحجة.

الفائدة الثالثة : وتتمثل في أن الخوض فى مسائل علم الكلام يحافظ على قواعد الدين .

الفائدة الرابعة : وتكمن فى أن الخوض فى المسائل الكلامية يعتبر الأساس الذى تبنى عليه سائر العلوم الشرعية.

الفائدة الخامسة: وتتمثل في أن الخوض فى المسائل الكلامية يحقق السعادة فى الدارين .(35)

بناء على ما تقدم قد أكد لنا "محمد صالح" على أصالة علم الكلام ، كما أشار لنا إلى موقف القبول والترحيب بعلم الكلام ، ولم يكتف بذلك حيث وجدناه يسرد لنا موقف القبول لعلم الكلام قديما ، معتمدا فى ذلك على تصنيف العلوم عند العرب

، تلك التصنيف الذى كان يعتمد عندهم على تصورهم للمعرفة البشرية ، وبيان علاقة هذه العلوم مع بعضها البعض من خلال ترتيبهم للعلوم على حسب الخصوصية والعمومية بهدف إظهار حدودها وعلاقتها القائمة فيما بينها.

فنظر "محمد صالح" أول ما نظر إلي "الفارابى" الذى عده من المفكرين الأوائل الذين اهتموا بتصنيف العلوم وخصوصا فى كتابه "احصاء العلوم" (36) الذى عبر من خلاله عن ضرورة اعتبار علم الكلام والفقه علمان اسلاميان خالصان وذلك لأنه اعتقد فى أن صلتهما بالفلسفة صلة عرضية وليس جوهرية. كما نظر إلى "إخوان الصفا" فوجدهم لم يضعوا علم الكلام ضمن العلوم الالهية ، بمعنى إنهم وضعوا علم الكلام ضمن العلوم الفلسفية وليس العلوم الشرعية. وذلك راجع فى الأساس إلى نزعتهم الفلسفية التى جمعوا فيها سائر التيارات الفلسفية الشائعة بهدف تفسير الدين تفسيرا عقليا مستندين في ذلك على النظر إلى الدين نظرة باطنية صوفية ، ومعتمدين فى فهمهم للدين على العلوم الطبيعية .(37)

ثم نظر أيضا إلي "ابن النديم" في كتابه "الفهرست" ولاحظ أنه أعلى من مكانة علم الكلام حيث خصص مقالة كاملة للحديث عن علم الكلام، كما حاول الجمع بين علمى الكلام والتصوف، لاعتقاده بالعلاقة الوثيقة بين الصوفية والمتكلمين وخصوصا فى القرن الرابع الذى عاش فيه "ابن النديم". كما نظر إلى "الخوارزمى" الذى أراد أن يصنف سائر علوم عصره فى كتابه "مفاتيح العلوم"(38) فلاحظ أن "الخوارزمى"قد وضع لعلم الكلام مكانة مهمة فى تصنيفه ، حيث أفرد لعلم الكلام بابا كاملا. وقد استنتج"محمد صالح" من ذلك أن "الخوارزمى" يتشابه مع "ابن النديم" فى اعتماده فى التصنيف على الإحصاء الوصفى فحسب، دون الاهتمام بالبحث عن مراتب العلوم. ومما يؤكد وجهه نظر "محمد صالح" هو أن "الخوارزمى" قد أورد علم الكلام بعد الفقه فى الترتيب دون التقليل من شأن علم الكلام . (39)

كما نظر إلى تصنيف "ابن خلدون" فوجده مهتما بتصنيف العلوم من خلال مقدمته ، ولكنه لاحظ أن العصر الذى كان يعيش فيه "ابن خلدون" كان عصرا متصفا بالركود والانحلال والتأخر في كل المجالات وعلى رأسها العلم والحضارة الإسلامية. لذا اهتم "ابن خلدون" بضرورة احتواء مقدمته على سائر العلوم خوفا عليها من الضياع. وعلى أيه حال فقد صنف "ابن خلدون" العلوم الموجودة فى عصره إلى صنفين : صنف طبيعى للإنسان، وصنف للعلوم النقلية.وبالنسبة للصنف الأول فيختص بعلوم الفلسفة والحكمة أو على الأحري بالعلوم الطبيعة التى تفيد الإنسان. أما الصنف الثانى فيختص بالعلوم النقلية الخاصة بالملة الاسلامية. وقد صنف "ابن خلدون" علم الكلام واحد من العلوم النقلية التى يهتم بها الصنف الثاني. لذا وجدنا "ابن خلدون" يخصص فصلا كاملا يهتم فيه بالحديث عن علم الكلام من حيث النشأة والتطور، ويميزه عن الفلسفة (40).

وعلى الرغم من ذلك فقد قصر "ابن خلدون" مهمة علم الكلام على الرد على شبهات المخالفين لعقيدة أهل السنة والسلف.وهنا أدان البعض "ابن خلدون" واتهموه بعدم الموضوعية عند تصنيفه للعلوم ، كما وصفه البعض الآخر بأنه وقف موقف المتفرج فى الوقت الذى بلغ فيه علم الكلام قمة التطور . ولكننا نجد أن " محمد صالح" قد أرجع موقف "ابن خلدون " الذى اتخذه من علم الكلام إلى أمرين لا ثالث لهما: يتمثل الأول فى رفض "ابن خلدون" خلط علم الكلام بالفلسفة ، لاعتقاده بضرورة التمييز بين العقائد والفلسفة . أما الثانى فيتمثل فى إيمان "ابن خلدون" بعدم حاجته إلى علم الكلام فى عصره. وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على اقتصار "ابن خلدون" على عقائد السلف فحسب.

وآخيرا نظر "محمد صالح" إلى موقف "طائش كيري زاده" فمن خلال تصفحه لكتابه "مفتاح السعادة ومصباح السيادة" ، وجده يدخل علم الكلام ضمن دائرة العلوم الشرعية، كما وجده متشابها إلى حد كبير مع موقف "الإيجي" من علم الكلام . وبناء على ما تقدم يمكننا القول بوجوبية علم الكلام عبر سائر العصور ، وذلك

لأنه يعد علما قد يستعين به البعض فى الدفاع عن الدين.(41) كما يعد علما لم ينشأ ترفا ولا عبثا (42) بل يعد علما ويجب علينا وضعه على رأس العلوم الشرعية، نظر ا لاعتماد سائر العلوم الشرعية عليه .هذه الحقيقة قد أكد عليه "محمد صالح" و اعتمد فى ذلك على موقف "الإيجي" . (43) كما اعتمد على التصوف الاسلامى الذى وجده يستند فى الأساس إلى علم الكلام وذلك لأن التصوف يهتم بالبحث فى الاحكام الشرعية النظرية والعملية. كما أن الصوفى الحق هو الذى يكون على علم بالكتاب والسنة .لذا ليس غريبا ان نجد "محمد صالح" يؤكد مثلما أكد "التفتازانى" من قبل على أن إنفصال العلوم أقصد علم الكلام والفقه ، والتمييز بينهما يعد أمرا اعتباريا وذلك لأنه اعتقد بإمكانية إدراج هذه العلوم تحت مسمى واحد هو الشريعة. كما رأى أن الانفصال الذى حدث بينهما قد حدث مؤخرا فى الإسلام نتيجة للتخصص العلمى فحسب.(44)

ووصولا إلى العصر الحديث فنجد أن هناك متكلمين قداقدموا عليه ,ولكنهم اشترطوا قيامه على الكتاب والسنة مثل "الإمام الغزالى" وخاصة رسالته فى "إلجام العوام عن علم الكلام ,"وابن الوزير" فى كتابه "ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليويان".(45) كما شارك فى الدفاع عن علم الكلام فلاسفة وصوفية ومحدثون وفقهاء إلى جانب متكلمين"كالعامرى" فى كتابه "الإعلام بمناقب الإسلام. و"السبكى" فى الطبقات،"وابن عساكر "فى " التبيين"،و"البياضى" فى "إشارت المرام من عبارات الإمام"0 كما لا يزال من يدافع عنه فى أيامنا تلك ويقر مشروعية وجوبة ,فهناك بحثاً مهماً قد قام به الدكتور الشيخ "يحيى فرغل " للحديث عن "نشأة علم الكلام ودواعيه،"حيث نجده قد خصص مجلدين لتحقيق ذلك.(46)

على هذا النحو نكون قد قدمنا بالفعل للموقف الرافض لعلم الكلام والمؤيدله ,ولكننا نرى أنه إلى جانب المناهضين والمؤيدين يوجد فريق ثالث يتوسط بين المعارض المطلق والتأييد المطلق لعلم الكلام ,وهم الذين ميزوا بين موضوعات علم الكلام وقسموها إلى موضوعات محمودة وأخرى مذمومة.كما بحثوا عن المشتغلين به

والممنوعين من الاشتغال به .(47) كما نرى أنه مع مطلع القرن العشرين ظهرت هناك دعوة تهدف إلى تجديد علم الكلام ,ومن أبرز الشخصيات التى نادت بذلك :"محمد إقبال",و"عبدالحميد بن باديس",و"مالك بن نبي"...الخ.(48) وهذا معناه أنهم جميعا أو كما يقول "عبدالعزيز راجل ":شعروا أننا فى أمس الحاجة إلى علم الكلام الجديد خاصة وأن الالحاد مازال موجوداً ,بل كثر عن الأيام السابقةحيث أخذشكل جديد وهو العلم .كما اعتقدوا أن الفلسفات الحديثة صارت تتنافس مع المقولات الدينية وتطرح شكوى حول الدين وأصبح المسلمين فى تحديات حضارية وسياسية .(49)

لذا نرى أن المحور الثالث والأخير يجب ان يتناول "علم الكلام الجديد" أو "الحاجة إلى علم الكلام الجديد" .وإننا سوف نتناول هذا المحور من خلال عدة نقاط رئيسة منها:أولا "حقيقة وجود مايمكن ان نطلق عليه علم الكلام الجديد",فعلا فإن هناك علم كلام جديد ,كما أن له منهج محدد ولكنه قد تغير كثيرا عن المنهج الذى كان مألوفا من ذي قبل. كما أن له مفاهيم إجرائية ولكنها مختلفة أيضا عن المفاهيم التي كانت موجودة من ذى قبل ، كما أن له قضايا وهى كالعادة مختلفة عن القضايا التى كانت موجودة من قبل. أما النقطة الثانية فى هذا المحور فتتمثل فى المنهج الجديد الذى يتبعه علم الكلام الجديد فنرى أن المنهج الجديد يتمثل فى ممارسة الفعل الذى يعتمد على الواقع تارة والنص تارة أخرى.(50) وتتمثل النقطة الثالثة فى معرفة الهدف الذى قام من أجله علم الكلام الجديد ويتمثل الهدف فى وضع حد لحالات الركود التى سيطرت على الدراسات الكلامية فى القرون الأخيرة، كما يتمثل فى إعادة بعث النتاج الكلامى من جديد وربطه بالتطورات التى حدثت للمعرفة الإنسانية التى تأثرت بالعاصفة الغربية ، ويتمثل أيضا فى تحقيق تنمية فكرية لعلم الكلام ووضعه فى السياق الذى يتناسب معه . وتتمثل النقطة الرابعة فى معرفة مجالات التجديد فى علم الكلام خصوصا وأننا قلنا من قبل بمشروعية وجود علم

كلام جديد، وعلى أيه حال فإنه من الملاحظ أن التجديد كان على أكثر من مستوى وعلى أكثر من صعيد ويمكننا إيجازه على النحو التالى :

1-التجديد فى المسائل الكلامية: حيث وجد المهتمين بالتجديد لعلم الكلام ان هناك مسائل كثيرة لسنا بحاجة إليها فى أيامنا تلك ، بل رأوا أن هناك مذاهب ومدارس كلامية بأكملها لسنا بحاجة إليها .ونادوا فى المقابل بضرورة وجود أفكار جديدة ومذاهب ومدارس كلامية جديدة تكون بعيدة كل البعد عن الصراع، وتعتمد على أنماط تفكير أخرى غير التى كانت تعتمد عليها من قبل.

2- التجديد فى المبادئ: وذلك بهدف تغيير دراسات علم المعرفة والوجود وكذلك العلوم الإنسانية والطبيعية والأبحاث الرياضية .

3- التجديد فى المنهج: الذى يعتبره البعض من أهم أنواع التجديد ، حيث كان المنهج القديم الذى يستخدمه المتكلمون هو المنهج الجدلي الذى تطور فيما بعد وأصبح مزيجا من الفلسفة والكلام، إلا إننا نجدهم ينادون بضرورة التغيير لذا صار المنهج عندهم متمثلا فى العقل الكلامى. (51)

وتكمن النقطة الخامسة فى معرفة القضايا التى يهتم بها علم الكلام الجديد، وأول ما نلاحظه أن معظم هذه القضايا تعبر عن إشكاليات متعلقة بحقوق الإنسان وتوفيقه مع عصره . وثانى الملاحظات تتمثل فى إمكانية تقسيم القضايا التى يهتم بها علم الكلام الجديد إلى ستة فروع رئيسية هى على النحو التالى:

الفرع الأول و يتعلق بالقضايا العقدية الإلهية: ومن أمثلة هذه القضايا البحوث الخاصة بأصول الدين ، تلك البحوث التى تتميز بكونها بحوثا قديمة ولكنها عولجت معالجة جديدة كان من أبرزها " الردود الخاصة حول الشبهات الفلسفية والعلمية الحديثة" ، ونذكر أيضا من أهم المعالجات الحديثة والتى تعد أكثر منهجية معالجة المفكر"محمد باقر الصدر"الذى قام بتأسيس الأصول الدينية على منهجه فى الاستقراء وحساب الاحتمال، وتحقيقا لذلك فقد وجدناه يخصص كتابين الأول "الأسس المنطقية للإسقراء" ويمتاز بالبساطة وهدف منه التأكيد على وجود القاسم الذى

يثبت كلا من العلوم الطبيعية والإيمان بالله، أما الثانى فعنوانه "موجز أصول الدين ، المرسل -الرسول والرسالة" وهدف من خلاله توسيع قضايا العقيدة من خلال النظر إلى الواقع معتمدا فى ذلك على منطق الاستقراء.

الفرع الثانى ويتعلق بقضايا التربية العقائدية: وذلك لترسيخ العقيدة لدى الإنسان المسلم دون الاكتفاء بالاعتقاد المعرفى المبنى على الدليل والتحقيق .

الفرع الثالث ويتعلق بالقضايا الايدولوجية: وذلك بهدف تحويل معانى العقيدة إلى معانى اجتماعية غرضها الأساسى إصلاح الواقع الاجتماعى للأمة. وهنا نجد "محمد إقبال" وخصوصا فى مشروعه"تجديد التفكير الدينى فى الإسلام" من أول المهتمين بهذا المجال، وذلك لأنه جعل من التوحيد الميتافيزيقى توحيدا قابلا للتنزيل .كما نجد أيضا "محمد باقر الصدر" الذى استمد من وحدة الله وعدالته مطلبان هما : إقامة العدل فى المجتمع ووحدة الأمة.

الفرع الرابع ويتعلق بالقضايا النظمية: وهذا معناه أن هذا الفرع يهتم بإيضاح ما يتضمنه الإسلام من نظم قد تضاهى قدرتها وقوتها سائر النظم الحديثة.

الفرع الخامس ويتعلق بقضايا حقوق الإنسان: ويتميز هذا الفرع بأنه يشغل اهتمام المتكلمين بكل ما تحويه الكلمة من معنى، حيث نشر المتكلمون بحوث فى هذا المجال كان معظمها متعلقا بالحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية والمواطنة .....إلخ.

الفرع السادس والآخير ويتعلق بالقضايا التوفيقية مع العصر: وتمتاز هذه القضايا بإنشغال المفكر بها منذ النشأة ، وكان يطلق عليها من قبل البعض التوفيق بين الأصالة والمعاصرة تارة والتوفيق مع قضايا العلوم الطبيعية تارة أخري.(52)

أما النقطة السادسة والأخيرة تتمثل فى الإشارة السريعة إلى أبرز القائلين بضرورة تجديد علم الكلام، حيث يعد "شلبى النعماني"(1857-1914م)من أبرز المنادين بضرورة تجديد علم الكلام وظهر ذلك على نحو جلى فى سائر كتاباته الكلامية ، كما نرى الأستاذ "مرتضى مطهري" (1920-1979) قد أكد على ضرورة احداث تحولات فى العلوم الكلامية وتأسيس علم كلام جديد .وعلى أيه حال فإنه من

الملاحظ أنه قد كثرت الأبحاث فى هذا المجال الجديد رغم مرور أقل من مئة عام على الدعوة إلى تجديد هذا العلم، حيث كثرت البحوث والكتب خلال الأعوام الماضية القليلة بخصوص المسائل والقضايا المتعلقة بالعلم الجديد. غير أن الأستاذ "أحمد قراملكي" قد لاحظ حقيقة على قدر كبير من الأهمية هى أنه على الرغم من كون هذا العلم علما جديدا ، وكانت هناك أبحاثا وكتبا بخصوصه ، إلا إنه قد تناول - فى بعض الأحيان- قضايا ومسائل ليس لها صلة بعلم الكلام الجديد. ولقد أرجع "أحمد قراملكي" ذلك إلى سببين لا ثالث لهما هما: الأول ويرى من خلاله أن علم الكلام الجديد لا يشارك علم الكلام التقليدى الذى كان سائدا من قبل إلا فى اللفظ أو العنوان. أما السبب الثانى فيتمثل فى إنه رأى أن البعض قال على علم الكلام الجديد إنه علم له هدف ومنهج مختلف عن علم الكلام التقليدى ، إلا إنهم لم يلاحظوا لهذا العلم أى استقلالية سواء من حيث الهدف أو المنهج. من هنا نظر "أحمد القراملكي" إلى هذين السببين واعتبرهما من الأسباب الرئيسة التى أدت إلى غموض علم الكلام الجديد.(53)

وقريب من رأى كل من "شلبى النعمانى" و"مرتضى مطهري" نجد"طه عبدالرحمن" الذى يعد من أبرز المنادين بضرورة تجديد علم الكلام وذلك لأنه رأى أن علم الكلام الجديد هو السبيل النافع والجاد لتقويم النزعات الفكرية المستجدة، والنظر إلى التغيرات العميقة التى أحدثت التقدم العلمى والتقنى فى المجتمع المسلم.(54) ولكن لو تعمقنا فى رأى "طه عبدالرحمن" فى علم الكلام الجديد نجده فى البداية يريد أن يطلق على علم الكلام مصطلح"علم المناظرة العقدى" . كما نجده يحدد لنا شروط رئيسة ينبغى توافرها لهذا العلم هى على النحو التالى:

الشرط الأول الاعتقاد: بمعنى أن يعتقد القائم على هذا العلم فى التسليم بما ورد فى الكتاب والسنة النبوية.

الشرط الثانى النظر: فلقد اعتمد "طه عبدالرحمن" على هذا الشرط نظرا لاعتقاده بامكانية تسمية علم الكلام "بعلم النظر والاستدلال".

الشرط الثالث والأخير وهو التحاور: والتحاور المقصود هنا أن يكون هناك خطاب بين اثنين ولكل منهما مقامان: مقام المخاطِب ومقام المخاطَب، ووظيفتان هما: العارض والمعترض وهدف من ذلك "طه عبدالرحمن" أن يجعل علم الكلام "علم للمقالات الإسلامية" وليس علم للمكالمة أو المناظرة.(50)أما بالنسبة لموقفه النهائي من علم الكلام فنجده يقول : أن علم الكلام قد تعرض للاعتراض والاستنكار الشديد وللأسف قد وجد هذا الاعتراض قوة وسندا نتيجة لما وقع فيه بعض المتكلمون من شبهات مقصودة أو غير مقصودة، ونتيجة لما سلكوه عن عمد أو غير عمد من طرق فلسفية طلبوا من خلالها نصرة آرائهم الكلامية. وعلى الرغم من ذلك نجد "طه عبدالرحمن" يعترف بمقدرة علم الكلام الفعلية على الجمع بين أصول النقل وبين مبادئ العقل .إن ما نريد التأكيد عليه بخصوص رأيه فى علم الكلام يتمثل فى أن غرضه الأساسى لا يكمن فى الانحياز إلى موقف قد يتعارض بشكل أو بأخر للمعترض على علم الكلام، فينتصر لمذاهب المتكلمون جملة وتفصيلا، وإنما نجده يريد أن ينظر إلى المتكلمين فيما أصابوا فيه بهدف الاستفادة فى تقدير الطاقة الابداعية فى انتاجهم .وعلى أيه حال فقد لاحظ على المهتمين بعلم الكلام الجديد عدة ملاحظات مهمة هى على النحو التالى :أولا لعب المهتمين بعلم الكلام دورا مهما فى مواجهة التيارات الاعتقادية غير الإسلامية المنزلة أو غير المنزلة، وكذلك الاتجاهات الفكرية القائمة على العقلانية المادية .ثانيا توصل المهتمون بعلم الكلام إلى مستوى رفيع يتمثل فى ضبط مناهجهم العقلية وأخذهم القويم للأدلة المنطقية ، وقد فاق مستواهم مستوى علماء المسلمين عند تصديهم للمذاهب الفكرية غير الإسلامية فى وقتنا الحالى، كما فاق مستوى المفكرين العرب المعاصرين المهتمين بتجديد التنظير لمناهج البحث فى الانتاج الاسلامى .

وتأكيدا لهذه الملاحظات وجدناه يقدم دليلين هما : الدليل الأول و يتمثل فى اعتقاده الراسخ باستيعاب المتكلمين لمختلف أسباب عصرهم العلمية والتاريخية . وأما الدليل الثانى فيتمثل فى اعتقاده بأنهم انتهجوا فى أبحاثهم طرق استدلالية تتمتع

بالتجريد والدقة ، كما اعتمدوا فى تحليلاتهم على أساليب تمتاز بالدقة والطرافة (56).

الهوامش:

أحمد على زهرة، بين الكلام والفلسفة عند الخوارج والمعتزلة، دار نينوي ،سوريا، الطبعة الأولي، 2004، ص31.

علي الشابي، مباحث فى علم الكلام والفلسفة، دار المدار الإسلامى ، الطبعة الأولى، 2002، ص ص 17-18

المرجع السابق، ص18

المرجع السابق ، ص 19

أبوالوفا الغنيمي التفتازاني، علم الكلام وبعض مشكلاته، دار الثقافة ، القاهرة، ص 3

أحمد على زهرة، بين الكلام والفلسفة عند الخوارج والمعتزلة، ص33

على الشابي، مباحث فى علم الكلام والفلسفة، ص18

عباس محمد حسن سليمان ، الصلة بين علم الكلام والفلسفة فى الفكر الإسلامى: محاولة

لتقويم علم الكلام وتجديده، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية 1998، ص11

المرجع السابق، ص ص 12-13

المرجع السابق، ص 215

أحمد على زهرة، بين الكلام والفلسفة عند الخوارج والمعتزلة، ص ص 35-36

عباس محمد حسن سليمان، الصلة بين علم الكلام والفلسفة فى الفكر الإسلامى: محاولة

لتقويم علم الكلام وتجديده، ص ص 215-216

المرج السابق، ص ص217-218

المرجع السابق ، ص ص 218-219

المرجع السابق، ص 220

المرجع السابق، ص 22

محمد صالح محمد السيد، أصالة علم الكلام، دار الثقافة ،القاهرة ، 1987 ، ص21

المرجع السابق ، نفس الصفحة

المرجع السابق ، ص23

حسن محمود الشافعى ، المدخل إلى دراسة علم الكلام ، دار القرآن والعلوم الاسلامية، الطبعة الأولى ، 1989، ص30

عبدالعزيز راجل، مناهضة علم الكلام قديما وحديثا.(27-9-2010) http://www.doroob.com/archives/?p=47975

محمد صالح محمد السيد، أصالة علم الكلام ، ص ص 37-39

المرجع السابق، ص 40

المرجع السابق، ص 41

المرج السابق، ص ص 42-43

المرجع السابق، ص 43

عبدالعزيز راجل، مناهضة علم الكلام قديما وحديثا.

حسن محمود الشافعى ، المدخل إلى دراسة علم الكلام ،ص 28

محمد صالح محمد السيد، أصالة علم الكلام، ص29

المرجع السابق، ص 25

المرجع السابق، ص 28

المرجع السابق، ص ص 29-30

المرجع السابق، ص ص36 -37

المرجع السابق، ص 53

المرجع السابق، ص31

المرجع السابق، ص 47

المرجع السابق، ص50
المرجع السابق، ص ص 51-52
المرجع السابق، ص 53
المرجع السابق، ص ص55-56
المرجع السابق ، ص58
المرجع السابق، ص37
المرجع السابق، ص45
المرجع السابق، ص ص46-47
حسن محمود الشافعى ، المدخل إلى دراسة علم الكلام ، ص30
المرجع السابق، ص 32
عبدالعزيز راجل، مناهضة علم الكلام قديما وحديثا.
عبدالعزيز محمد حسن سليمان، الصلة بين الكلام والفلسفة فى الفكر الإسلامى: محاولة لتقويم علم الكلام وتجديده، ص 223
عبدالعزيز راجل، مناهضة علم الكلام قديما وحديثا.
يحيى محمد، علم الكلام الجديد: الهوية والوظيفة
http://www.fahmaldin.com/index.php?id=68.
حيدر رجب الله، آفاق علم الكلام الجديد: قراءة أولية http://aafaqcenter.com/post/669
يحيى محمد، علم الكلام الجديد: الهوية والوظيفة
أحمد قراملكى، التجديد فى علم الكلام.
http://www.alargam.com/sorts/kalam/105.htm
طه عبدالرحمن، فى أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافى العربي، الطبعة الثانية، 2000، ص 157
المرجع السابق ، ص ص 70-71
المرجع السابق، ص ص 71-72